الفلوجة الصامدة الصابرة

الاستاذ ع . ع

أكتب هذه السطور مساء الخميس الثامن من نيسان/أبريل ٢٠٠٤م

أكتب هذه السطور و " الفلوجة " ومدن عراقية أخرى محاصرة من أيام ، والصواريخ والقنابل تهوى عليها من الطائرات ، والدباباتِ ، والناسُ يتساقطون قتلى وجرحى في المدن والقرى والبيوت والطرقات

وقالت قيادة التحالف :

- إنهم يحاصرون الفلوجة ، ويضربونها بالصواريخ والمدافع والرشاشات ، وبنادق القناصين ، لأنهم يريدون أن يعتقلوا ويعاقبوا الأفراد الذين قتلوا أربعة من
" المرتزقة " رجالِ الأمنِ الخاصّ ، ومثّلُوا باثنين منهم ، والتمثيلُ بالجثث أمر مستنكر لا يجوز

وقد أعلن علماءُ المسلمين ومؤسساتُهم وجماعاتُهم وسكانُ الفلوجة كلُّهم ، استنكارَهم للتمثيل ، وإدانتهم له وللأفراد الذين قاموا به ؛ ولكن قيادة التحالف أصرت على محاصرة الفلوجة التي وقع فيها أو في طريقها الحادث ، وعلى معاقبة سكانها جميعاً وهم زهاءُ ثلاثمائة ألف ، بما فعله بضعة أفراد أعماهم الألم والغضب فخرج بهم عن أدب الإسلام في التعامل مع الأموات

وما تزال الطائرات الأمريكية والمدافع الأمريكية ، والرشاشات الأمريكية ، تقصف كل شيء ، وتضرب كل شيء ، وتصيب من تصيب دون تمييز

قصفوا البيوت والمتاجر ، قصفوا المساجد والمدارس ، قصفوا الشوارع والطرقات ، واستباحوا المستشفيات وسيارات الإسعاف ، وقتلوا مئات من الأطفال والنساء والشيوخ والرجال ، وجرحوا مئات ومئات

ولقد رأينا على شاشة التلفزيون ما أمكن أن يصل إلى شاشة التلفزيون ، وهو قليل قليل من كثير كثير .. رأينا على شاشة التلفزيون ، ما تتقطع له القلوب ، وتقشعر لهوله الأبدان

رأينا من جثث الأطفال والنساء والشيوخ والرجال ما مُزِّقَ تمزيقاً ، وما حُرِّقَ تحريقاً ، وما اختلط بتراب الأرض فكأنّه قطعة من الأرض

أليس هذا تمثيلاً أيضاً يتجاوز مُجَرّدَ القتل ؟!

ولماذا يقتل هؤلاء ، ويمثل بهم هذا التمثيل الفظيع وأكثرهم من الأطفال والنساء والسكان البسطاء الذين لا يدَ لهم في قتل وقتال

هل الدّمُ الأمريكيّ وحدَه هو الدّمُ الغالي الحرام ، ودماء سائر البشر دماء رخيصةٌ رخيصةٌ ، حلالٌ حلالٌ ، أرخصُ من دماء الحيوان

ثمّ بأيّ شريعة من شرائع السماء والأرض يعاقب مئات ألوف من الناس ، بفعلة أفرادٍ لم يقرهم عليها أحد ؟!

إنّ الأمريكان وحلفاءهم يُذَكّرون كلَّ يوم بالمقابر الجماعية أيام صدام ، ويُنَدِّدون كلّ يوم بالمقابر الجماعية أيام صدّام ، وهاً هم أُولاَء يصنعون الآن ظلماً وعدواناً ما صنع صدّام ، وأبشعَ مما صنع صدّام ، ولعنةُ اللهِ علىَ ما صنعَ من الآثام ، فيَحُولونَ بينَ الناس وبين حمل شهدائهم إلى مقبرة المدينة ، فَيُدْفَنُ الشهداء في البيوت ، وفي الملاعب ، ويَكْثُر الشهداء فيدفن العدد منهم في قبر واحد ، وتظلّ جُثَث كثيرة متناثرة في الطرقات – خوفاً من القناصة المتربصين – بلا دفن

ولله " الفلوجة " الصامدة الصابرة ما أعظمها! وما أروعها! وما أعظم مثال البطولة والتضحية الذي قدمته للدنيا!

لله الفلوجة ، وبغداد وبعقوبة والرمادي والكوفة والبصرة وكربلاء .. وسائر مدن العراق من شماله إلى جنوبه ومن شرقه إلى غربه

لقد رأيت وسمعت على شاشة التلفزيون رجلاً مسناً أعزل ، ذهب القصف الوحشي ببيته ، وعدد من أهله وأحبابه .. سمعته يقول وهو على تلك الحال في تلك الظروف :

– إما أن نعيش أعزاء أو نموت شهداء ، ولن نستسلم أبداً مهما طال الحصار ، واشتدَّ البلاء والعناء ، وحُرمنا الدواء والغذاء ، وسنصبر ونصبر ، ونقاتل ونقاتل إلى آخر رجل ، وآخر نقطةَ دم

يا أيتها الولايات المتحدة!

يا أيتها الأمم المتحدة!

يا أيتها الدنيا!

ألا يستحق هذا الشعب الكريم العظيم البطل أن تردّ إليه كرامته وسيادته

ألا يستحق هذا الشعب الكريم العظيم البطل الإعجاب والتقدير بدل الإبادة والتنكيل ، وأن يعامل معاملة الأنداد لا معاملة الأتباع والعبيد

أما آن أن نفهم ، أنّ هذا الشعب المؤمن العريق لن يقهر على المدى البعيد ولن يهزم ، ولو دمّره في حاضره الغُزاة ، وأبادوا من أبنائه ما يبيدون

إنّ بطولاته الخارقة ، وتضحياته المذهلة ، قد انغرست في تاريخه وفي نفوس أجياله ، وستكون حافزاً دائماً للنضال الدائم الدائب بمختلف الوسائل المتاحة ، من أجل الحرية والتحرير والعيش الكريم

﴿ ... وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ [الشورى : ٢٤]

﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء : ١٤].